

ذاتها . وساعدت على نشر هذا الاعتقاد الانتصارات المتتالية في كل ميادين العلم . ولم يقبل عام السبعين حتى ازداد هذا الاعتقاد عنفا ورسوخاً حتى اعتنقه بعضهم كما يعتنق ديناً . على أن الناظر لا يرى خلقاً جديداً في مذاهب العلم وأساليبه وأصوله ، ولكن غير العلماء كانوا يتحررون في أصوله عن النور الذي ينبغي له أن يثير مسالك الحياة الاجتماعية والحياة الخاصة وما قدر لها . فـ رينان وتين ، قد جمعت آثارهما قبل عام السبعين ولكن الشباب لم يتخذ منهما قائدين إلا بعد هذا العام . وهكذا انتشر سلطان العلم وغلب على كل سلطان وطني على الأدب وأصبح موضع الانظار . وأعلن أحد رسل العلم « برتلو » بعد اكتشافه في الكيمياء مذهب تأليف الأجزاء المتفرقة بأنه بواسطة هذا المذهب يستطيع إنسان الغد أن يصبح المسيطر على عالم الأجساد والنفوس . فهو يضع غذاءه ويخلق عصور الرفاهية التي تتجلى فيها المساواة والاخاء إزاء شريعة العمل المقدسة . كل شيء سجله العلم ويخلق خلقاً جديداً . وكذلك شأن الأخلاق يسرّكها هذا التطور الذي أدرك الطبيعة

كل شيء في الحقيقة ينتظم . يخضع كل فكرة إنسانية لقوانين العلم . وقد كان علم طبقات الأرض وعلم الآثار القديمة والتوسع فيها كأننا ذائعين في القرن الثامن عشر قبل أن تتفجر عن العلم اكتشافاته وتزداد حركته . وهناك مجامع كثيرة قامت ومدارس نشأت تطلب أن تقيم الدراسة المحض للحقائق بدلا من الركض وراء الخطرات الخيالية اللامعة على غير جدوى . ولكن هذه المطالب كانت لا تزال تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فيها تردد غير مطمئن وشك غير المؤمن . فبقى التعليم وجامعاته والنقد وحركاته أمينة لمذاهب الأدب القديمة التي تعتمد على الذوق والذهاب إلى إحياء فن الأوائل بالخيال ، حتى برز عام السبعين فبدأت الأذواق تنفر من هذه الأخيالة . ودعا الأدباء إلى اعتناق علم « الألمان » الذين رحبوا الحرب ، ليكون منهم علماء في دراسة اللغات ومؤرخون وأساتذة ، وأن تكون دراساتهم مرتكزة على بحث الحقائق وتجربتها ونقدها نقداً علنياً . وقد طغت هذه الدعوة العنيفة على جامعات فرنسا وغزت مجامعها الأدبية . فتغير الأسلوب وتبدلت المناهج ، ونرى أثر ذلك في

مجلات في الأدب الأفرنسي الحديث

تطور الحركة الأدبية

في فرنسا الحديثة

لأستاذ الأدب في جامعة المربون ، دانيال مورني ، Daniel Mornet

بفلم الأستاذ فلبيل فندراوى

فصول مأخوذة من كتاب تاريخ الأدب والفن الفرنسى الحديث لأستاذ الآداب في جامعة السوربون ، دانيال مورني . تبحث تطور الشعر والرواية والنقد والتاريخ والفلسفة ، (١) ودانيال مورني أستاذ له مدرسته التحليلية وطريقته الأدبية التي يفرضها على آداب أمته في هذا الجيل ! وهو مؤرخ للأدب بطريقة خاصة بكاد يكون بها لسيح وحده . تقرأ كتبه ومقالاته فتشعر باطلاع واسع عميق وجهد كبير وفكر عال استطاع أن يقرأ ويفيد ويحلل فتأخذ منه ما أوجزه فأنا به بنحى على سطره القليلة ما يغنى ! يكتب بأسلوب سهل كتابة يغلب عليها الأسلوب الأدبي طورا والأسلوب التحليلي نارة ، وهو في كل ذلك حى تجري حياة الفكر فيه ، يكتب عن المدرسة الأدبية أوجهاً الأدبي صفحة أوصفتين ويقف وإنك لراغب في الزيادة ! ولكن وقوفه هو الحاجز الذي يجب أن يقف عنده . ولن يمضي زمن حتى ينشأ هذا الأسلوب الموجز في تحليل الأدب وتبين مواقفه الحاسمة . وأشهر كتبه المنشورة تاريخ شامل للأدب الفرنسى قديمه وحديثه . وتاريخ لراحل خاصة للفن الفرنسى وقد أحببت أن أدرس هذا الكتاب لأنه درس شامل لفن وأدب . لا يذهب وراء الخيال كثيرا كأنه كل شيء ، ولا ينطلق وراء الفن كثيرا كأنه كل شيء . . . لأن صاحبه يرى التأثير متبادلا بينهما ، ففيه نرى تأثير العلم في تطور الأدب وتأثير الأدب في الفلسفة . وفيه يرى أصحابنا تأثير النظريات الفنية والفلسفية في توجيه الأدب ٢

(١) خ ، هـ

رقية العلم عام ١٨٨٠

لم تبلغ العلوم الطبيعية من الذبوع والقوة ما بلغت في أواخر القرن التاسع عشر . فإن أهم اكتشافاتها ومخترعاتها إنما تمت في عهد قبل عهد الأواخر . فكتاب « داروين » مثلاً عن أصل الأنواع إنما ظهر عام ١٨٥٩ وكذلك في الأعوام الأخيرة نشأت اكتشافات جديدة غمرت الأرض وألقت في أحلاهم أن العلم قادر على تبديل الحياة الاجتماعية وغير عاجز عن تغيير الحياة

(١) حقوق الحريب والنشر بافن المؤلف

دمعة وفاء

على المرحوم الأستاذ غانم محمد

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته

الأستاذ زكي نجيب محمود

أحقاً يا غانم حم القضاء وقام فيك الرثاء ؟ أحقاً طح بدوحك العاني منجل الفناء ؟ واجيعته ؟ قم إذن يا صاح فاهتف بالمحاجر أن تسح الدمع هتوئاً سخياً ، وبالحناجر أن تسكب ذوب النفوس أنيناً حزيناً .

عجباً ! أستطاع الدهر في لحظة من الزمن ، أن يطوى الشمس في ظلة الرمس ؟ أستطاع الموت بلفظة في لحظة أن يدك طوداً كان شامخاً بالأمس ؟ أفي اليوم الذي نرجو للأمة فيه غانماً وغانماً ، يهوى مغلب الموت ، بين أشاجعه رعب القدر ، ونظر فاذا غانماً الواحد قد افتقدناه في مثل الملح بالبصر ؟ حنانيك يا رباه ! أأصبحت بالنية غانماً أم أصبحت عشيرة في رجائها ؟ أرميت بالبليه رجلاً أم رميت الرجولة في سويدائها ؟ فما كان فقيدنا في عداد القوم واحداً كسائر الأحاد ، بل كان ينبوعاً للرجولة دافقاً ، وقلباً للوطنية خافقاً ، يمتليء همه حتى ليسكب الهمة في بنيه ، ويشتعل حماسة حتى ليبت الحماسة في مواطنيه ، لا يدخر في سبيل ذلك ما وسعه من جهد اللسان والقلم . فهأنذا أطوى اللبالي القهقري أعواماً ثلاثة ، فاذا بالمطبعة العربية تذيع في الناس كتاباً لا يخطف العين مظهره ، ولا يضح به في الناس منشئه ومسطره : جان دارك تأليف غانم محمد .

أقبلت على الكتاب حينئذ ، ولم أكن أدري عن صاحبه إلا أشتاتاً منشورة ، فحسبته بادي الأمر كتاباً من الكتب = أخرجه للناس كاتب من الكتاب ، فما هي إلا صفحات عشر أتلوها حتى همست لنفسى قائلاً : كلا ! تالله إن الرجل لكاتب بارع وأديب قدير ، اختلجت في نفسه الفكرة غنيمة جبارة . تنشئ التصوير والتعبير ، فاستجاب لدعوة القلم وكأنه فولتير يشور فيسطر فيثير . نعم لم تكن إلا صفحات عشر أتلوها حتى أيقنت أن الكاتب منشئ غمور ، قبس من صحائف التاريخ

مدرسة (أنينا) الفرنسية التي أخذت تنهج في الدرس نهجاً حديثاً ، وفي بقية مدارس أنشئت لهذه الغاية كمدرسة (روما) ومدرسة القاهرة ، وفي بعض مجلات عليية أنشئت لتعمل على تشجيع هذا المذهب الجديد !

وقد سرى هذا الارتجاج الى الفلسفة فخالق أن العلم يدل منهاجها . وبدا أثر هذا الارتجاج في الدراسات النفسية التي كانت تعتمد على الدرس الباطني فبدل نوع هذا الدرس وجاءوا يعلم جديد لدرس النفس لا يعتمد الا على الفحص والتجريب والبرهان . وخزانة الفلسفة الفرنسية لا تزال طافحة بهذا النوع الجديد من الدرس كما نازر الفيلسوف ريبو ، في معالجة أمراض الذاكرة والارادة والشخصية . وكلها أبحاث قائمة على الفحص العلمي والبرهان العملي الذي لا مجال للخيال فيه وهي تثبت أن أصول علم النفس الروحاني لا تتلاءم مع الأعمال ، وأنا بدرسنا - علياً - لفساد المادة الدماغية ندرس كذلك فساد الفكرة التي لا بد أنها مظهر من مظاهرها وأثر من تأثيرها .

أما علم درس المجتمعات فهو لا يشبه العلم فحسب ، بل يجب أن يكون علماً صارماً في تطبيق مبادئه وفي تطبيق نتائجها ، كما هو الحال في علوم الطبيعة . ولم ينشأ هذا العلم في فرنسا الا بعد عهد ، ولكن هذا لا يمكن أن يكون وليد المذاهب العقلية . وإنه علم ومنطق يراد به خلق أصوله ومناهجه . وقد وقف العالم « دوركايم » جهوده على القول بأن الحوادث الاجتماعية هي حوادث مخصوصة معينة يجب اعتبارها كأنها خاضعة لقوانين خاصة يكتشفها علم الاجتماع كما يكتشف علم الطبيعة قوانين الطبيعة وهناك فئة عليية تدين بالعلم . هذه الفئة التي قدم لها « رينان » كتابه « مستقبل العلم » ، هذه الفئة هي التي مشى وراء تعاليم « دارون » وعلى هذه الفئة ثبت مستقبل العلم ومستقبل الديمقراطية ، وفي الحقيقة كانت الجمهورية الفرنسية متقلقة متزعزعة حتى عام ١٨٨٠ ، فتألب رجال السياسة والصحافة على استنقاذها من مأزقها ، فعمدوا الى التبشير بكلمات « برتلو » ، بالمساواة والحرية والاتحاد والسعادة ، بالعمل على تأييد العلم الذي يجازي العاملين من أجله بالسلامة والعافية ورفاهية العيش ، وهو الذي سيحل عقدة الحياة والوجود .

ان هذه الرقبة الغلية غزت الأدب فيما غزت وكان لها فيه تأثير بليغ ؟

فليب هنراوى